صبياننا والمساجد

تأليف

أبي محمد عبد الهادي السوداني

تقديم ومراجعة

دكتور أحمد السماوي

دار البصيرة

جمهورية مصر العربية

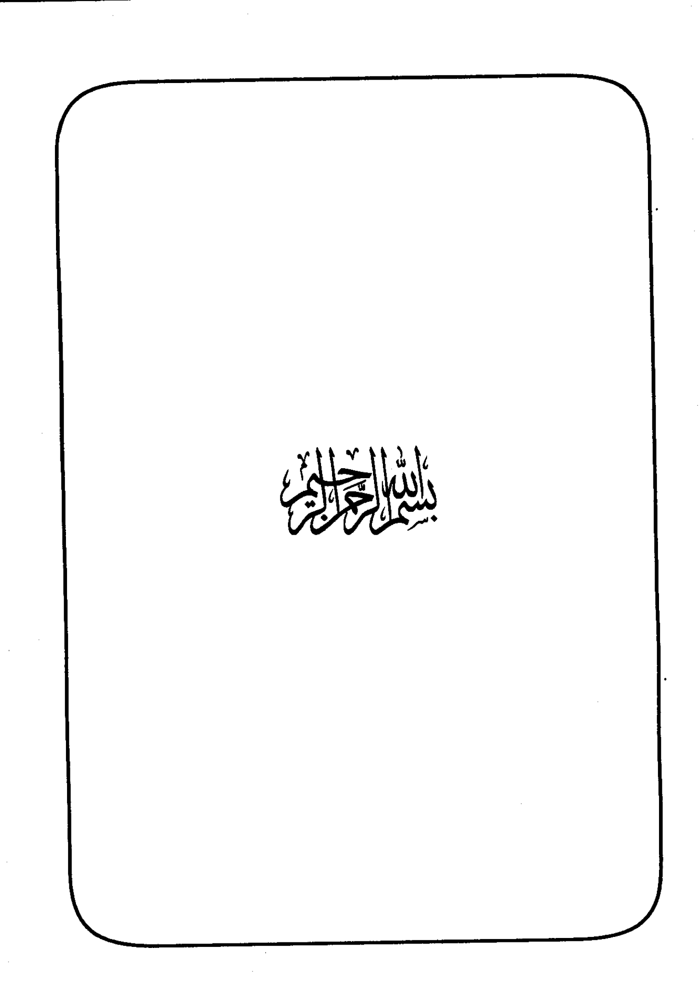
العنوان: ٣٤ ش كانوب ـ كامب شيزار ـ الإسكندرية

تليفون: ٥٩٠١٥٨٠ ـ محمول : ٠١٢٢٢٤٠٣٦٢


العصر للطباعة
هاتف : ٢٩٨٤٣٧٥
فاكس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠ ١٩٠٠٠٣٨

صبياننا والمساجد

أبي محمد عبد الهادي أحمد محمد الشنبيلي السوداني
تقديم ومراجعة: دكتور أحمد محمد علي السماوي


بسم الله الرحمن الرحيم

تَقْدِيمُ

د. أحمد محمد علي السماوي

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة، والسلام على نبيينا محمد، وآله وصحبه، وبعد:

فإن المسجد هو المكان المتميز في حياة المسلم، بوظيفته التي تعجز عنها كافة المؤسسات، ودوره الذي لا يمكن أن يقوم به مكان آخر، حتى المنزل؛ فهو موضع الصلاة، ومرتع الخشوع، ومحضن التربية، وساحة الإعداد، ونقطة التجمع للمسلمين، وقد غفل كثيرٌ من المسلمين عن تلك الحقيقة، وذلك الدور؛ خصوصًا فيما يتعلق بوظيفة المسجد التربوية، وأدت تلك الغفلة إلى منع الصغار من ارتياد المسجد، وحصره بالتالي على فئة من المسلمين دون فئة؛ وهي فئة الكبار.

وقد اطَّلعت على رسالة الأخ الفاضل؛ أبي محمد عبدالهادي الشنبلي، فوجدتها كافية، شافية للنفس، بارئة

للسقم في مجالها، وهي - كما قال - حفظه الله - من باب النصيحة.

وكم نحن بحاجةٍ إلى النصيحة، وكم نحن بحاجة إلى بحوث كهذه، تتناول قضايا يوميه، حتى لو كانت قضايا خلافية.

فإن الطرح الذي يتم به مناقشة هذه القضايا، هو الذي يجب الاهتمام به؛ حتى لا نفسد للود قضية، وكم من أناس يجهلون الدليل، ويقفون في الاتجاه المعاكس، حتى إذا ما تبين لهم الدليل، انصاعوا للحق، فكسب أجورهم من أوضح لهم ذلك الدليل، وكم من مشكلةٍ نشبت بسبب عدم معرفة الدليل الصحيح، فلما اتضح، وبان، خمدت المشكلة، وعادت الأخوة بين المسلمين إلى سابق عهدها.

غير أن الناس ليسوا سواء، وهنا يظهر العجب ممن تواجهه بالصحيح من سنة الرسول ﷺ، ثم يُصِرُّ مستكبرًا؛ كأن لم يسمعها، ويستمر في غَيِّه مكابرًا، يقول لك: «ولكن ....»، فما أسوأ« لكن...»، هذه التي يعارض بها فعل المعصوم ﷺ،

وقوله، وتقريره.

لكنه كما قال الشاعر:

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ
وإن كنت تدري فالمصيبةُ أعظمُ

ورغم أن هدف هذه الرسالة التي بين يدي القارئ هو مسألة الصبيان، وعلاقتهم بالمسجد، فإن ما يقرب من نصف الرسالة قد تناول أهمية المسجد، ومكانته في الإسلام، والوضع الذي هو عليه في زماننا، وكان قد خطر ببالي، عند البدء في قراءة الرسالة، أن أقترح على المؤلف تغيير العنوان؛ ليصبح شاملًا للمحتوى، ثم تبين لي بعد أن قطعت شوطًا فيها أن ما حدث من تطويلٍ في موضوع أهمية المسجد، ومكانته، والوضع الحالي له، إنما يدل على سعة أفق المؤلف، وتسلسل، وانتظام أفكاره؛ إذ أن موضوع الصبيان، والمسجد هو جزء تطبيقي لرسالة المسجد، يصعب فهمه دون توطئةٍ لفهم مكانة المسجد؛ فهما جزءان مرتبطان ببعضهما، وأحدهما مقدمةٌ ضروريةٌ لفهم الآخر، وبعبارة أخرى، فأهمية، ومكانة المسجد هو الإطار

النظري الذي ينبني عليه معرفة ذلك الجزء التطبيقي.

ختامًا، أرجو الله - سبحانه، وتعالى - بأن يجعل هذا الجهد في ميزان حسنات المؤلف يوم يلقاه، وأن ينفع به المسلمين في كل مكان.

والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل.

صنعاء
في ربيع الأول ١٤٢٠ هـ
الموافق: يوليو ١٩٩٩م.

دكتور

أحمد محمد علي السماوي

عميد الدراسات العليا بالجامعة اليمنية
أستاذ اللغويات التطبيقية بجامعة صنعاء

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده، ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي

محمَّدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن مِن أكثر ما يشغل فكر المسلم - اليوم - مسألة الخلاف المذموم، والتنازع المستمر بين المسلمين - للأسف - في أمور يسيرة فرعية، هي ليست محل جدال، وخصومة بين أهل العلم، وطلابه، وإن تباينت آراؤهم فيها لأسباب معلومة، ومعتبرة عندهم؛ وإنما يأتي الخصام، واللدد من قبل الجهلة، وأدعياء العلم؛ ممن لم ترسخ قدمهم في فقه الكتاب، والسنة، ولم يهتدوا إلى طريقة السلف، وأهل العلم في شأن الخلاف، ومعالجة مسائل الاجتهاد، والرأي، وأن المخالف في ذلك مُجْتَهِدٌ له إحدى الحسنيين، وأنه لا يُنْكَرُ عليه، ولا يُعَنَّفُ؛ وإنما يُبَصَّرُ بالحق، وبما يراه غيره بلطفٍ، وأدب، وحسن نية. ولو رُدَّ الأمر إلى أهله، لما فسدت للود قضية، ولكن هيهات، والهوى، والجهل، والعصبية تضرب أطنابها بين الناس، إلا ما رحم ربي.

ومن هذه التنازعات ما تراه، وتسمعه في كثير من الأحيان، وفي كثير من المساجد؛ من اختلافهم في دخول الصبيان

المساجد، ووقوفهم بين الرجال في صفوف الصلاة، بين معارضٍ، ومُؤَيِّدٍ، الأمر الذي يُحْدِثُ غضبًا، وهياجًا، وربما أدَّى إلى الفتنة، والشر المستطير، وربما أحجم - بسبب ذلك - كثيرٌ من الآباء عن ارتياد المساجد، وشهود الجماعات فيها؛ ضنًّا بأنفسهم وأبنائهم،

فبتوفيقٍ من اللّٰه الحليم الكريم، عزمت على أن أكتب رسالة مختصرة في هذا الموضوع؛ تسلط الضوء - بإذن الله - على الآتي:

مكانة المسجد في الإسلام.
من خصائص المساجد وآدابها.
المسجد شعار الإسلام.
من أسباب النفرة عن المساجد.
المساجد عند السلف الصالح - رضوان الله عليهم.
المساجد محاضن تربية، ورياض أطفال.
جواز إدخال الصبيان المساجد، وحملهم في الصلاة.
شبهاتٌ، وردُّها.
موقف الصبيان في الصلاة.

خاتمة.

ثَبَتُ المراجع، والفهرس.

ولقد سَمَّيْتُ هذه الرسالة «صبياننا والمساجد»، وحسب معرفتي المتواضعة، لم يتناول أحدٌ من المؤلفين موضوع الصبيان، والمساجد في رسالةٍ منفردة، ولكن ورد الموضوع في إشارات متفرقة، في ثنايا كتب الفقه، وغيرها..

أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن ينفع بها المسلمين، ويجعلها - وسائر عملي - خالصة لوجهه الذي أشرقت لنوره السموات، والأرض، وأن يرزقنا التوفيق، والسداد، والحمد لله رب العالمين.

ربيع الأول ١٤٢٠ هـ.
يوليو ١٩٩٩ م

كتبه
أبو محمد
عبدالهادي بن أحمد الشنبيلي السوداني
صنعاء - اليمن

مكانة المسجد في الإسلام

يقول الحق - تبارك، وتعالى - في محكم التنزيل من الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[١]، ويقول - سبحانه -: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٢]، ويقول - جل وعلا -: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۞ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٣]

ويقول الرسول ﷺ: «.. أَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّه - تَعَالَى

(١) سورة الجن: آية (١٨).
(٢) التوبة: آية (١٨).
(٣) النور: الآيتان (٣٦، ٣٧).

الْمَسَاجِدُ ..»[١]، وعن عثمان ﷺ أن النبي ﷺ، قال: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا، يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»، [متفق عليه].

وروى أحمد، وابن حبان، والبزار بسند صحيح، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ، قال: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا، وَلَوْ كمفحص قَطَاةٍ[٢] لِبَيْضِهَا، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

وروى أحمد، والشيخان، عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ، قال: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ، وَرَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا، وَرَاحَ».

فهذه النصوص الكريمة المحكمة، وأمثالها تبين بجلاء تلك المكانة الرفيعة، والقدر العظيم للمسجد عند الله، وعند رسوله، والمؤمنين، وأنه أشرف بقعةٍ على وجه الأرض، وخير مكانٍ يرتاده الناس؛ ليعبدوا فيه ربهم، مخلصين له الدين، وينعموا فيه

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة ولفظه (أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها).

(٢) القطاة: طائر معروف، والمفحص: الموضع على الأرض الذي تبيض فيه القطاة.

بالسكينة، والطمأنينة؛ حيث تحفهم الملائكة الأبرار، وتغشاهم الرحمة، ويذكرهم الله ـ جل وعلا ـ في ملإٍ عظيم عنده[(١)]، ويقومون من مجلسهم مغفورًا لهم، قد بُدِّلَتْ سيئاتهم حسنات، بعد أن صلّوا الصلوات، وتدارسوا القرآن العظيم، وذكروا الله ذكرًا كثيرًا، وسبحوه بكرةً، وأصيلًا.

من خصائص المساجد، وآدابها

لقد كرم الله ـ تعالى ـ، ورسوله المساجد، وخصها بأمور، وآداب تتميز بها، وتميزها عن سواها من البيوت، والدور، والمحال؛ فمن ذلكم:

● كونها أحب البقاع إلى الله ـ تعالى ـ، وأشرفها قدرًا، مما يجعلها مليكةً لفؤاد العبد المؤمن ـ حقًا ـ؛ تملأ عليه شغافة محبةً، وتعلقًا، فهو لا يفتأ مشغولًا بها، كَلِفًا بحبها، لا يخرج

(١) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده». رواه مسلم.

منها حتى يكتنفه الشوق العارم إليها، والعودة للمكث فيها؛ ولذلك يناله الجزاء العظيم، وتصيبه الجائزة الثمينة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، تدنو فيه الشمس من رءوس الخلائق قدر ميلٍ واحد .

فالسعيد السعيد - يومئذٍ - من يحظى بِظِلٍّ يستظل به، ولا ظل إلا ظل الله العلي العظيم..

يقول الرسول الكريم ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ...»، وذكر منهم: «شَابٌّ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ»[1].

● ومما يُميِّز المساجد، وتمتاز هي به: أنها تضاف إلى الحق - تبارك، وتعالى -، إضافة تشريفٍ، فتختص به وحده، ليس لأحد فيها شيء، ولا يُعْبَدُ فيها غيره - جل وعلا -: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[2]؛ أي نَزِّهُوا المساجد عن الشرك كله، وعن جميع وسائله؛ من البدع، والمحدثات، ونحوها.

(١) مسلم: الصحيح بشرح النووي.
(٢) الجن: آية (١٨).

والواجب تمكين عباد الله المخلصين منها؛ فلا تُمْنَعُ عنهم آناء الليل، والنهار، وينبغي تهيأتها بما يليق بها من المرافق، والفرش، والأثاث؛ مما يمكن المؤمنين من إعمارها على مدار الساعة، بمختلف العبادات، وشتى الطاعات المشروعة ..

● ومن أهم خصائص بيوت الله إشاعة الأمن، والسلام فيها؛ فلا تقام فيها الحدود، ولا تتخذ طُرُقًا، وممرات العبور؛ فعن ابن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لَا تَتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ طُرُقًا إِلَّا لِذِكْرٍ أَوْ صَلَاةٍ»[1]. وقد نهى عن نشدان الضالة فيها، وكذا البيع والشراء[2]، وأمثال ذلك مما هو دنيوي محض، قد يفضي إلى الانشغال التام عن ذكر الله، وإقام الصلاة. فإن كان النبي ﷺ نهى عن نشدان الضالة في المسجد، وهي ملك

(١) محمد ناصر الدين الألباني، الصحيحة، ج الثالث، ص٣، ط الأولى (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

(٢) ففي «رياض الصالحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالة، فقولوا: لا ردها الله عليك» رواه الترمزي وقال: حديث حسن، والدارمي، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.

لصاحبها، فكيف بالذي ينشد الناس أموالهم، وأشياءهم في بيوت الله؛ من هؤلاء الشحاتين، والسائلين الذين يسألون الناس إلحافًا، ولا يستحون، ينبع أحدهم عقب تسليمة الإمام مباشرة، ولا يدع فرصة للمأموم أن يسلم، ولا لأحد أن يذكر الله بالباقيات الصالحات حتى يرفع صوته بالسؤال، والضراعة، والإلحاح على الناس في خطبة طويلة، وقصة ركيكة مختلقة ـ في الغالب ـ، يرقق بها قلوب الناس، ويستدر بها عطفهم عليه، أما سمع هذا بقوله ﷺ مُحَذِّرًا «إِيَّاكُمْ وَهيشات الأَسْوَاقِ»، وقوله عن وظيفة المساجد «إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّه تَعَالَى وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، رواه مسلم.

قال الإمام المناوي في «فيض القدير»: «المسجد سوق الآخرة؛ فمن عكس، وجعله سوقًا للدنيا، فحريٌّ بأنه يُدْعَى عليه بالخسران، والحرمان»[1].

وكما تجب صيانة المساجد من سائر المعاصي، والمنكرات، كذلك ينبغي تعاهدها بالتنظيف، والصيانة من الروائح الكريهة،

---

(١) نقلًا عن كتاب آداب المساجد لأبي حذيفة إبراهيم بن محمد، ط الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

والأبخرة المؤذية؛ ففي صحيح مسلم، يقول النبي ﷺ: «مَنْ أَكَلَ الثُّوْمَ، وَالْبَصَلَ وَالْكُرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسَاجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ».

المسجد شعار الإسلام

إن من أبرز المظاهر الرائعة في ديار الإسلام، وبلاد المسلمين تلك المساجد الطاهرة المنتشرة في البقاع، المزدانة بمآذنها الشامخة في كل ريف، أو حاضرة؛ يقدسها المسملون، ويتفانون في صيانتها، ويبذلون كل غال، ونفيس؛ من أجل عمارتها، وبنائها، وفرشها، وإجراء المياه إليها، وتزويدها بالمرافق اللازمة، وكل ما يعين على عمرانها بالعبادة، والطاعة لله الواحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد؛ فلله الحمد، والمنة.

ولكن ثمة ما يؤسف له في كثير من الأنحاء؛ مما تراه من الاهتمام الزائد - من البعض - بزخرفة المساجدو والتباهي، والتطاول في تزيينها، وتنميقها بالنقوش، والزركشة، وإقحامها

بالمفارش الوثيرة الملونة، والزينات الفارهة العجيبة، التي كثيرًا ما تفضي إلى انشغال المصلين، ورواد المساجد، وتنذر بالفتنة، والدواهي، يحدث كل هذا، بينما يقل المصلون، ويحجم المسلمون عن دخول بيوت الله، والمكث فيها، إلا قليلًا ممن رحم الله، ووفقه لاعتيادها.

ولقد أخبر النبي الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، عن أشراط الساعة؛ وأن منها هذا التباهي الذي يفعله الناس في المساجد؛ فعن أنس رضي الله عنه من قوله: «يَتَبَاهُونَ بِهَا ثُمَّ لَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا»[١].

وروى الإمام البخاري - رحمه الله -، عن عمر رضي الله عنه، أنه قال: «أكن الناس من المطر، وإياك أن تحمر، أو تصفر، فيفتن الناس».

فالمسجد مكان للعبادة، والذكر، لا داعي أن يزين بما يشغل الناس عن ذلك.

---

(١) البخاري، عمدة القاري.

من أسباب النفرة عن المساجد

ولعل الباحث البصير إذا نظر في أمر عزوف كثير من المسلمين عن المساجد، يلحظ بوضوح تلك العوامل التي قد تكون سببًا قويًا في صدِّ كثيرٍ من المصلين عن ارتياد المساجد، لاسيما في هذه الأيام التي استشرى فيها الفساد؛ من ذلك:

انحراف المزاج العام للمسلم، واشتغاله بالدنيا عن الآخرة؛ اشتغالًا لم يدع له هدأة يفكر فيها، ويميز بين الواجب، وغيره، والأفضل، والمفضول، والربح الحقيقي من الخسارة الفادحة، فهو يطارد الدنيا ليله، ونهاره لا يلوي على شيء من ذكر ربه إلا لمامًا ونزرًا يسيرًا، ولا حول، ولا قوة إلا بالله.

ومنها ما حدث من تحييد المسجد، ورسالته الشاملة عن دوره في نهضة الأمة، ورفع بنائها، وحصر دوره في نطاق محدود لا يعدو إقامة الصلوات الخمس المفروضة وبطريقةٍ هي أشبه بالعادة الباردة التي خبت فيها جذوة الأشواق، وروح المعاني التعبدية العظيمة التي تجعل للأشياء ذوقًا رفيعًا ووجدًا حارًا يصل المرء

بخالقه الرحيم، ويجذبه إليه جذبًا ليس ثمة شيء أقوى ولا أسعد منه.

ولقد وقع من بعض السلطات الجائرة[١] في ديار المسلمين ذلك الأمر الخطير الذي أدى إلى إفراغ المسجد ورسالته من محتواها العظيم، وهم بذلك إنما يصدون عن سبيل الله؛ شعروا أم لم يشعروا بل ويسعون في خراب المسجد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾[٢]، فحينما يتحكمون في بيوت الله بالهوى، والرأي الفاسد؛ فيعينون لها قوامًا خاملين عاطلين من كل خير، ومعروف، لا يفقهون في الدين قليلًا، ولا كثيرًا، يجعلون المساجد مساكنهم الخاصة يفتحونها متى شاءوا، وأكثر أوقاتها مغلقة، والقوَّام (الموظفون) في مشاغلهم، يضربون

---

(١) تولى مقاليد الأمور في كثير من بلاد المسلمين من بعد إسقاط دولة الخلافة الإسلامية (١٩٢٤م) «بعض العلمانيين» أعداء الأمة والإسلام فسعوا معاجزين في آيات الله وحاصروا المساجد ليفسدوا دورها ويبطلوا مفعولها وأثرها في ربط الأمة بربها وعقيدتها وسر نهضتها .. بعد أن علموا الدور الخطير للمسجد وأنه مبعث حياة الأمة وحادي تطورها ..

(٢) البقرة: آية (١١٤).

في الأسواق، ونحوها، وإذا ما فتحوها وجاء إليها المؤمنون متشوقين، قابلوهم بالتكشير والعبوس القمطرير، والنكر النكير؛ كأنهم يستقبلون أعداء مهاجمين، أو غزاة مستعمرين.

وهم لا يتسامحون مع صغير ولا كبير، ومن هفا هفوة، أو كبا كبوة، فله الويل والثبور، والشرور وعظائم الأمور؛ فلربما يلوى المسكين إلى حيث أتى، وهو يقسم الإيمان المغلظة ألا يعود إلى هذا المسجد، ما دامت السموات، والأرض.

وحينما يتحكمون في المساجد بيوت الله؛ فإنهم يفرضون عليها «أئمة» ليسوا أهلًا للإمامة ولا يفقهون عن الإمامة والصلاة شيئًا، فلا هم من أقرإ الناس، ولا من علماء السنة، وفقهائها العاملين، ولا سابقة لهم في التقوى والفضل، والدين[1]؛ إنما شأنهم أنهم من المقربين لذوى السلطان، أو من

(١) عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤم القوم أقرءهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء؛ فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء؛ فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء؛ فأقدمهم سنا، ولا يؤمَّن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه» وفي لفظ: «لا يؤمن الرجل الرجل في أهله ولا =

وجهاء الدنيا ممن أسسوا المسجد، أو لهم صلة بمؤسسه، ولربما لم يكن شيءٌ من ذلك وإنما يكون أحدهم من الوصوليين، والمتملقين، ومحبي الظهور والأمر المشهور، ونحوهم.

فمن مثل هؤلاء، وهم في واقع الأمر غمة تحصل النفرة، والبغض، ومن ثم الإحجام عن ارتياد المساجد؛ لما يعانيه الناس من صلفهم وجورهم وجهلهم وقلة خيرهم ، وضحالة شأنهم عند الناس، والرسول ﷺ يقول «إِنَّ مِنْكُمْ لَمُنَفِّرِينَ»[1] قالها لمن أطال القراءة في صلاته بالناس على غير الوجه المعروف الذي يطاق، فشق على المأمومين، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ كما هو معلوم من مقررات أهل العلم ـ. فكم من مثل هؤلاء (الأئمة) المنفرين الذين فُرِضُوا على الناس قسرًا، وصاروا بجهلهم وفراغهم من العلم وأصوله والدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، أحجار عثرة في طريق المصلين، ورواد المساجد.

= سلطانه» رواه أحمد ومسلم.

والتكرمة: ما يفرش لصاحب المنزل ويبسط له خاصة.

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار حديث رقم ٢١٣١٢.

المساجد عند السلف الصالح

إن من المعلوم من سيرة النبي ﷺ، لما قدم المدينة مهاجرًا بأمر ربه؛ نصرة لدين الله ـ تعالى ـ، أن بنى المسجد؛ كأول عمل[١] جليل، وأول بناء، ومؤسسة في دولة الإسلام ومدينة النور والسلام وكفى بذلك مكانة عظيمة، وقيمة عالية أولاها الله، ورسوله، والمؤمنون للمسجد.

يقول ـ تعالى ـ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ ﴾[٢]، قال الإمام ابن كثير الدمشقي ـ رحمه الله ـ تعالى ـ : (لما ضرب الله تعالى مثل القلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية، المتوقد من زيت طيب؛ وذلك كالقنديل مثلا ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله ـ تعالى ـ

---

(١) انظر (الرحيق المختوم) للمباركفوري، دار القلم، بيروت، ص١٧٧.
(٢) النور: آية (٣٦).

من الأرض وهي بيوته التي يعبد فيها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾؛ أي أمر الله ـ تعالى ـ بتعاهدها، وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها[1]، ثم قال: (وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد، واحترامها، وتوقيرها، وتطييبها، وتبخيرها ...»[2].

قلت: لم يكتف الرسول ﷺ، وأصحابه من بعده، والتابعون لهم بإحسان ببناء المساجد وتوقيرها، وتطييبها وتبخيرها، ولكن جعلوها المحور الذي تدور عليه عجلة حياتهم، حياة المؤمنين الصادقين المخبتين لربهم، العاملين بأمره، المنتهين عن نهيه وزجره، فبالإضافة إلى كونها محلًّا للعبادة المحضة من صلاةٍ، وذكر، وتلاوة للقرآن الكريم؛ فقد كانت المساجد ـ عندهم ـ جامعات للعلم، والهدى، والفكر، والنور؛ يتدارسون فيها العلوم بأنواعها ـ شرعية وإنسانية وطبيعية ـ وهي مع ذلك ساحات للرياضة والتدريب على فنون الجهاد، وأساليب القتال

(١) و (٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج الثالث، ص٣٠٣، دار المعرفة، ط الثانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

وبناء الرجال.

ولقد كانت المساجد - أيضًا - منابر حرة لتنمية، وتطوير، وتأصيل الرأي العام والفكر الجماعي؛ حيث كانت تعقد فيها الشورى، ومجالس الحوار النبيل، وتبحث فيها الأمور العالية مما لا نص فيه، فيخرج جمهور المصلين، وهم على قلب رجل واحد؛ يشملهم رأي واحد وفكرة مشتركة مما يشيع الألفة، والمحبة، والتعاون، والترابط بين أفراد المجتمع الإسلامي الواحد[١]، ويدفع إلى العمل الجماعي الموحد.

* * *

(١) ولقد كانت المساجد مأوى الفقراء والمساكين والعجزة والمستضعفين، والمنكوبين وذوي الحاجات، ومأمن الخائفين، يجدون فيها السلام والدفء والمطعم والمشرب، وغير ذلك مما هو حيوي وضروري .. ومكان أهل الصفة) من مسجده ﷺ لا يخفى على أحد.

اللعب والترويح في المساجد[١]

ولما للإسلام من الكمال في شمول، واستيعاب جميع ما يصلح لحياة الإنسان من الضروريات، والحاجيات، والكماليات؛ فإنه لم يغفل فطرة الناس التي فطروا عليها لا تبديل لخلق الله، من ميلهم إلى الراحة والترويح، وحبهم لشيء من اللعب، يجددون به نشاطهم، ويستروحون به على أنفسهم من عناء العمل، والكد الدائم، والأخذ بالجد، والعزائم؛ لذا أباح الإسلام ممارسة اللعب المشروع في المسجد، وأن تُنْشَدَ فيه الأشعار، وَيُتَحَدَّثُ فيه بالحديث الذي يُدْخِلُ على النفس السرور، والحبور، ولابأس بالضحك، وما لا يخرم المروءة أو يذهب بالحشمة، والوقار. ففي الحديث المتفق عليه من حديث أم المؤمنين عائشة ـ الصديقة بنت الصديق ـ رضي الله عنها ـ،

---

(١) انظر كتاب «الأمة» رقم (٧٤) ذو القعدة (١٤٢٠هـ) رسالة مفيدة في هذا الموضوع لعبد الله بن ناصر السدحان بعنوان «الترويح وعوامل الإنحراف .. رؤية شرعية»

قالت: «لقد رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا الذي أسأمه، فأقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو»؛ وذلك لأن شأن الصبية، والأطفال الصغار ليس كشأن الآباء، والكبار؛ فلا ينبغي أن يُؤْخَذُوا دائمًا بالحزم، والشدة، وتضييق الخناق عليهم، وإنما الواجب مراعاة حداثة سنهم، واحتياجهم إلى اللهو، واللعب المباح.

وعلماء النفس، والاجتماع لا يختلفون في مدى أهمية اللعب في بناء أعضاء الطفل بناء سليمًا وبناء نفسيته، وحسه المعتدل معًا، وأنه سببٌ رئيس في نموه المتكامل، والطبيعي. ولقد كان أصحاب النبي ﷺ، وهم أكمل الناس بعد الأنبياء، والمرسلين، وهم الرجال ـ كما وصفهم ربنا عز وجل ـ، كان يمازح بعضهم بعضًا بالحق، وهم في المسجد النبوي الشريف، وبحضرة النبي ﷺ، ولربما لاعب بعضهم بعضًا فيه على نحو من الطرفة، وخفة الروح توددًا وإخاء، وإظهارًا للتراحم، والتعاطف بينهم، وتوثيقًا لعرى الصحبة، والمحبة التي يجمعهم عليها الإيمان بالله، ورسوله ﷺ.

أخرج البخاري في (الأدب المفرد): «كان أصحابه ﷺ يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق، كانوا هم الرجال»[١].

وبالجملة كان المسجد في حياة سلفنا الصالح محلًا بل مصنعًا يصنع الحياة الكريمة العالية لجماعة المسلمين وفق شريعة رب العالمين ، ومقتضى هدى خاتم المرسلين ﷺ وسيظل المسجد يقوم بهذا الدور العظيم ما دام المسلمون يعون قدره ويعرفون مكانته، ويسعون إلى إحيائه على النهج القويم ووفق طريقة أصحاب النبي ﷺ.

المساجد محاضن[٢] تربية ورياض أطفال

ومن أهم المسائل التي يجب أن يلحظها الناس اليوم، ويولوها عنايتهم الفائقة، مسألة اتخاذ بيوت الله - تعالى - محاضن لتربية أطفال المسلمين، وتنشأتهم منذ نعومة أظفارهم على الخلق

(١) السلسلة الصحيحة، الألباني، ج١، ط الرابعة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

(٢) محاضن: جمع محضن ومحضن وهو المكان الذي يحضن فيه الصغير وبيض الطائر (انظر القاموس المحيطي للفيروزآبادي - مؤسسة الرسالة ١٩٩٤ ص١٥٣٧.

القويم، والصراط المستقيم عبادًا لله الأحد؛ يرضعون هدي الإسلام، وسمته، وآدابه في مثل هذا الوقت المبكر، حتى إذا ما شبوا على خيرٍ وهدى وصلاح، تعمر بهم الحياة، ويسعد بهم ذووهم، ومن شبَّ على شيءٍ، شاب عليه .

وإن تعجب فاعجب من هؤلاء الذين جهلوا هذه القيمة العظيمة من قيم المسجد؛ كونه محضنًا صالحًا، ومهدًا ربانيًا لتربية وتنشأة أطفال وصبيان وشباب الأمة المحمدية المختارة، وكونه روضة لأطفال المسلمين، لا كرياض الأطفال المستحدثة اليوم، التي لا تسمن، ولا تغني من سوء أدب، وضياع قيم، والتي يلقن فيها أطفالنا وفلذات أكبادنا الأغاني الخليعة، وأحاديث الميوعة، والأناشيد الهابطة، وكل سنن العبيد؛ من يهود، ونصارى، ومن لا خلاق لهم .

فأين ذلك من روضة المسجد التي تشيع فيها بهجة الحياة، ويضوع منها عبق السكينة، وتحتفي فيها الملائكة، وتتنزل فيها رحمات الرءوف الرحيم؟! أين ذلك من جو العبادة، والخشوع، والربانية، وبيئة الذكر الحكيم، والقرآن العظيم؟! أين

ذلك من المدارس، والجامعات التي تخرج فيها ومنها أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وابنا عفراء[١]، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان ...، وسائر أولئك النخبة الأبرار الأخيار، الذين صحبوا النبي المختار، ومن اقتفى أثرهم، واهتدى بهديهم - صلوات الله، وسلامه، ورحمته، وبركاته عليهم أجمعين .

ولما كان موضوع هذه الرسالة المتواضعة - في الأصل - هو مسألة الصبيان، وعلاقتهم بالمساجد، فإنني أخلص الآن لبيان الحكم الشرعي لدخول الصبيان، ونحوهم المساجد والمكث فيها، وذكر المصلحة الشرعية في ذلك، ودحض شبهات القائلين بمنع الصبيان من دخول المساجد، ومالذلك من مفاسد وشرور تضر سير الأمة والحياة الإسلامية نحو الفضيلة، والخير، والنماء.

---

(١) هما عوف ومعوذ ابنا الحارث، من الأنصار برزا يوم بدر مع عبد الله بن رواحه لمبارزة عتبة بن ربيعة، وأخيه شيبة وابنه الوليد قبل المعركة وعادوا بدون مبارزة.

كل ذلك مقرونًا بدليله من الكتاب، والسنة، وأقوال علماء الأمة ومجتهديها من الأئمة الأعلام، حتى يبين الصبح لذى عينين، وتقوم السنة الغراء على رجلين، وتنقمع البدعة العمياء، ليحيى من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، والله وحده الهادي إلى سواء السبيل، وهو المستعان، وعليه التكلان..

واعلم ـ رحمك الله ـ أن أعظم دافع لي على البحث في هذا الموضوع هو إرداة وجه الله الكريم، وإخلاص الدين الحنيف له ثم هو النصح للمسلمين والإخوان في الدين؛ عملًا بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ وقوله ﷺ «الدين النصيحة» رواه مسلم من حديث تميم بن أوس الداري رضي الله عنه.

ولقد فشا في زماننا هذا الغلو في الدين، وعمَّ الجهل المشين، حتى انقلبت الأمور عند الكثيرين رأسًا على عقب؛ فالسنن ـ عند قومٍ ـ مبتدعات، والمناكير مستحبات، ولا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فكم تسمع وترى من يقوم على صغارنا، وصبياننا زاجرًا

وناهرًا وطاردًا وضاربًا؛ صدًّا لهم عن بيوت الله، وتنفيرًا وإبعادًا عن محاضن الخير، ورياض الجنة، وهو لا يشعر أنه بفعله البدعي هذا يصد عن سبيل الله ـ والعياذ بالله ـ ويدفع بأجيال المسلمين صناع المستقبل إلي مهاوي الردى، والرذيلة، ويسربلهم بحبائل الشيطان الرجيم.

وكثيرًا ما تثور الفتنة، ويستطير الشر، ويحتدم الصراع بين جماعة المصلين في المسجد؛ بين مُؤَيِّدٍ، ومعارض، وكلٌّ يتعَصَّبُ لرأيه، وقد لا يسعفه دليلٌ صحيحٌ معتبر من الكتاب، أو السنة يستند إليه؛ فيفتي بغير علم، ويدفع بغير حلم .

فإن الأبناء، والصبية اليوم ـ إن لم تحضنهم المساجد، وبيوت الله الآمنة، وتعمل على تنشئتهم، وتربيتهم التربية الإسلامية الصالحة؛ فإنهم ـ لا محالة ـ واقعون في مستنقع الشيطان الآسن، ونتنه الذي تعج به الطرقات، والشوارع، والأسواق، ودور السينما» وأندية اللهو، والعبث، وشاشات (التلفاز)، وقنوات الدش وشبكات الانترنت وغيرها من مواطن الفساد، وبؤر الضلال، وأوكار الرذيلة.

وحتى بيوتنا - نحن المسلمين - اليوم، صارت أقرب إلى المغارات، والخرائب، والكهوف التي تأوي إليها مَرَدَةُ الشياطين، وفساق الجن؛ ذلك بما كسبت أيدينا، فلقد «عَمَّرْنَا» البيوت باللهو الباطل، والغناء الفاضح، والصور(١) الخليعة، في الوقت الذي أخليناها من ذكر الله وما والاه، إلا قليلًا وعند القليل منا.

جواز إدخال الصبيان المساجد، وحملهم في الصلاة

جاء في صحيح الإمام مسلم - رحمه الله - تعالى -، حدثنا عبدالله بن مسلمة بن قعنب، وقتيبة بن سعيد قالا: حدثنا مالك بن عامر بن عبدالله بن الزبير ح، وحدثنا يحيى بن يحيى، قال: قلت لمالك: حدثك عامر بن عبدالله بن الزبير، عن عمرو بن سليم الزرقي، عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ كان يصلي،

(١) لقد دلت النصوص الشرعية بوضوح تام على أن البيوت التي تعلق فيها الصور - ولا فرق بين الظلية أو الشمسية وبين المجسمة - لا تدخلها الملائكة ولا تقربها، والبيت الذي لا تدخله الملائكة فهو مأوى الشياطين والأرواح المتمردة الخبيثة .. انظر في ذلك رسالة ضافية بعنوان: بيوت لا تدخلها الملائكة، لأبي حذيفة إبراهيم بن محمد، أثابه الله تعالى.

وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن الربيع، فإذا قام حَمَلَهَا، وإذا سجد، وضعها، قال يحيى: قال مالك: نعم.

وحدثنا محمد بن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن عثمان بن أبي سليمان، وابن عجلان، سمعا عامر بن عبدالله بن الزبير يحدث عن عمرو بن سليم الزرقي، عن أبي قتادة الأنصاري، قال: «رأيت النبي ﷺ، يؤم الناس وأمامة بنت أبي العاص، وهي ابنة زينب بنت النبي ﷺ على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها».

حدثني أبو الطاهر، أخبرنا ابن وهب، عن مخرمة بن بكير، وحدثنا هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا ابن وهب، أخبرني مخرمة، عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي، قال: سمعت أبا قتادة الأنصاري، يقول: «رأيت رسول الله ﷺ يصلي للناس، وأمامة بنت أبي العاص على عنقه، فإذا سجد، وضعها».

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، قال: وحدثنا محمد بن المثنى، حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا عبدالحميد بن جعفر

جميعًا -، عن سعيد المقبري، عن عمرو بن سليم الزرقي، سمع أبا قتادة، يقول: «بينا نحن في المسجد جلوس، خرج علينا رسول الله ﷺ، بنحو حديثهم [غير أنه لم يذكر أنه أمّ الناس في تلك الصلاة]»[1].

قال الإمام أبو زكريا النووي - رحمه الله - تعالى -، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة: وإن ثيابهم محمولةٌ على الطهارة، حتى يتحقق نجاستها، وإن الفعل القليل لا يبطل الصلاة، وكذا إذا فرق الأفعال[2].

فيه حديث حمل أمامة - رضي الله عنها -؛ ففيه دليل لصحة صلاة من حمل آدميًا أو حيوانًا طاهرًا؛ من طير، وشاة، وغيرهما، وأن ثياب الصبيان، وأجسادهم طاهرة، حتى تحقق نجاستها، وأن الفعل القليل لا يبطل الصلاة، وأن الأفعال إذا تعددت، ولم تتوال - بل تفرقت - لا تبطل الصلاة، وفيه تواضع مع

(١) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم بشرح النووي، المجلد الثالث، جزء (٥)، ص ٣١،٣٢،٣٣ الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٣١ وما بعدها.

الصبيان، وسائر الضعفة، ورحمتهم، وملاطفتهم[1]، وقوله: «رأيت النبي ﷺ يؤم الناس، وأمامة على عاتقه»؛ هذا يدل لمذهب الشافعي - رحمه الله - تعالى -، ومن وافقه أنه يجوز حمل الصبي، والصبية، وغيرهما من الحيوان الطاهر في صلاة الفرض، وصلاة النفل، ويجوز ذلك للإمام والمأموم والمنفرد، وحمله أصحاب مالك رضي الله عنه على النافلة، ومنعوا جواز ذلك في الفريضة، وهذا التأويل فاسد؛ لأن قوله: (يؤم الناس) صريحٌ، أو كالصريح في أنه كان في الفريضة، وادَّعى بعض المالكية أنه منسوخ، وبعضهم أنه خاص بالنبي ﷺ، وبعضهم أنه كان لضرورة، وكل هذه الدعاوى باطلة، ومردودة؛ فإنه لا دليل عليها، ولا ضرورة إليها بل الحديث صحيح صريح في جواز ذلك، وليس فيه ما يخالف قواعد الشرع لأن الآدمي طاهر وما في جوفه من النجاسة معفو عنه؛ لكونه في معدته، وثياب

(١) قلت تأمل قوله: « تواضع مع الصبيان ورحمتهم وملاطفتهم» وقارنه بما يفعله الجهال وقساة القلوب - عندنا - من زجر الأطفال وتخويفهم وضربهم إذا هم ارتادوا المساجد، تلف ما عليه قومنا من البعد العظيم عن الهدي القويم والصراط المستقيم!!

الأطفال، وأجسادهم على الطهارة، ودلائل الشرع متظاهرة على هذا، والأفعال في الصلاة لا تبطلها إذا قلت، أو تفرقت.

وفعل النبي ﷺ هذا بيانًا للجواز وتنبيهًا به على هذه القواعد التي ذكرتها، وهذا يرد ما ادعاه الإمام أبو سليمان الخطابي أن هذا الفعل يشبه أن يكون كان بغير تعمد، فحملها في الصلاة؛ لكونها كانت تتعلق به ﷺ فلم يدفعها، فإذا قام بقيت معه، قال: ولا يتوهم أنه حملها، ووضعها مرة بعد أخرى عمدًا؛ لأنه عمل كثير، ويشغل القلب، وإذا كانت الخميصة شغلته، فكيف لا يشغله هذا؟! هذا كلام الخطابي - رحمه الله - تعالى -، وهو باطلٌ، ودعوى مجردة، ومما يردها قوله في صحيح مسلم: (فإذا قام حملها)، وقوله: (فإذا رفع من السجود أعادها)، وقوله في رواية غير مسلم: (خرج علينا حاملًا أمامة فصلى)، فذكر الحديث، وأما قضية الخميصة [1]؛ فأنها تشغل القلب بلا

(١) عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ صلَّى في خميصة لها أعلام فقال: «شغلتني أعلام هذه، اذهبوا بها إلى أبي جهم وائتوني بأنبجانيته» رواه البخاري ومسلم، وروى البخاري عن أنس ﷺ قال: «كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال لها ﷺ «اميطي قرامك، فإنه لا تزال =

فائدة، وحمل أمامة لا نسلم أنه يشغل القلب، وإن شغله، فيترتب عليه فوائد، وبيان قواعد مما ذكرناه وغيره فأحل ذلك الشغل لهذه الفوائد بخلاف الخميصة، فالصواب الذي لا مَعْدَلَ عنه أن الحديث كان لبيان الجواز، والتنبيه على هذه الفوائد.

فهو جائزٌ لنا وَشَرْعٌ مستمر للمسلمين إلى يوم الدين، والله أعلم «انتهى كلام النووي ـ رحمه الله تعالى .

ويا له من كلامٍ نفيس، واستدلال قويم، ومنطق سليم؛ نقلته بطوله لأهميته، وجلال فائدته بما لا مزيد عليه، وانظر ـ رحمك الله، وإيانا ـ هذا الصنع الرفيع، والخلق العالي للرسول المصطفى، المبعوث رحمةً للعالمين، كيف يدلك على محاسن الإسلام، ومكارم هذا الدين الحنيف؛ فهو الداعي إلى الرحمة، والرأفة، والعطف والشفقة على العباد، لا سيما، الضعفة من الأطفال، والولدان، والنساء، والشيوخ، بل وسائر الحيوان الأعجم من النملة، والذر، وما فوق ذلك، فيكف يطلب ناسٌ

= تصاويره تعرض لي في صلاتي».

الخير في غير هذا الدين، والخير - كل الخير - في هذا الدين ؟!!
وكيف يجورون على أنفسهم بمفارقة هدي النبي ﷺ؛ فتصير حياتهم شقاءً، وجحيمًا لا يطاق ؟!!.

وصدق الله العلي العظيم، حيث يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ....﴾[1]، [طه: ١٢٤].

وفي سبل السلام شرح بلوغ المرام، «لابن الأمير الصنعاني»، وعن أبي قتادة ﷺ، قال: (كان رسول الله ﷺ يصلي وهو حاملٌ أمامة بنت زينب، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها)، متفق عليه، ولمسلم: (وهو يؤم الناس في المسجد).

قال الإمام ابن الأمير - رحمه الله - تعالى - في قوله: «كان يصلي» ما يدل على أن هذه العبارة لا تدل على التكرار مطلقًا؛ لأن هذا الحمل لأمامة وقع منه ﷺ مرة واحدة، لا غير[2].

(١) سورة طه، الآية: ١٢٤.
(٢) محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني، سبل السلام.. المجلد الأول، الجزء الأول، ص ٢٣٦، مكتب الجيل الجديد - صنعاء.

قلت: بل فيه الدليل على التكرار، ووقوع هذا الفعل منه، وهو حمله لأمامة مرارًا؛ فإن «كان» قد تفيد في كلام العرب معنى التكرار، والاستمرار في الفعل مرة بعد مرة، وأنه صار ديدنًا، وعادة لازمة، لا سيما إذا كان خبرها جملة فعلية، فعلها مضارع؛ كما هو الحال في لفظ الحديث؛ وذلك في مثل قولهم: كانت العرب تحج البيت في الجاهلية؛ أي أن ذلك الفعل، وهو حج البيت الحرام ـ قد صار ديدنًا، وعادة لهم التزموها، واستمروا عليها، والضرورة هنا لا تفيد التحويل من شيءٍ إلى شيء؛ وإنما تفيد الاستمرار، وجريان العادة، والعرف بذلك، والله أعلم، وفي القرآن الكريم من هذا كثيرٌ؛ كقوله تعالى: ﴿وكان الله غفورًا رحيمًا﴾، فمغفرته ـ سبحانه وتعالى ـ، ورحمته أزليَّةٌ أبديَّة، ليس لها انقضاء.

قال الإمام ابن الأمير ـ رحمه الله ـ تعالى ـ: (والحديث دليل على أن حمل المصلي في الصلاة حيوانًا أو آدميًّا، أو غيره لا يضر صلاته؛ سواء كان ذلك لضرورةٍ، أو غيرها، وسواء كان في صلاة فريضة، أو غيرها وسواء كان إمامًا أو منفردًا، وقد

صرح في رواية مسلم أنه ﷺ كان إمامًا؛ فإذا جاز في حال الإمامة، جاز في حال الانفراد، وإذا جاز في الفريضة، جاز في النافلة بالأَوْلَى، وفيه دلالة على طهارة ثياب الصبيان، وأبدانهم، وأنه الأصل، ما لم تظهر النجاسة، وأن الأفعال التي مثل هذه لا تبطل الصلاة، فإنه ﷺ كان يحملها، ويضعها، وقد ذهب إليه الشافعي، ومنع غيره من ذلك، وتأولوا الحديث بتأويلات بعيدة؛ منها أنه خاص به ﷺ، ومنها أن أمامة كانت تعلق به من دون فعلٍ منه، ومنها أنه للضرورة، ومنهم من قال: إنه منسوخ، وكلها دعاوى بغير برهان واضح[1]، وقد أطال ابن دقيق العيد في «شرح العمدة» القول في هذا، وزدناه إيضاحًا في حواشيها» [2]، [كلامه بلفظه - رحمه الله - تعالى -

(١) قال في «فتح العلام» سئل قاضي القضاة محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله تعالى - عن حمل العمامة الساقطة من الرأس في الصلاة هل يجوز أم لا؟ فأجاب: قد ثبت عن النبي ﷺ حمل أمامة في الصلاة؟ وهي ابنة ثلاث سنين فما ظنك بحمل العمامة؟ وهي أخف منها قطعًا. أهـ.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٢.

وأجزل له المثوبة].

وقال الإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ تعالى ـ: (فإذا سجد، وضعها)، ولمسلم: (فإذا ركع)، ولأبي داود: (حتى إذا أراد أن يركع، أخذها، فوضعها، ثم ركع، وسجد، حتى إذا فرغ من سجوده، وقام، أخذها، فردها في مكانها)، قال النووي: ادَّعى بعض المالكية أن هذا الحديث منسوخ، وبعضهم أنه من الخصائص، وبعضهم أنه كان لضرورة، وكل ذلك مردودٌ لا دليل عليه، وليس في الحديث ما يخالف قواعد الشرع[1].

وفي إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: «قول الإمام الحافظ ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله، وطيب ثراه ـ: «ومن ذلك: أن النبي ﷺ كان يصلي، وهو حامل أمامة بنت ابنته زينب؛ فإذا ركع وضعها، وإذا قام حملها»، [متفق عليه]، ولأبي داود أن ذلك كان في إحدى صلاتي العشي؛ وهو دليل على جواز الصلاة في ثياب المربية، والمرضع، والحائض، والصبي، ما لم

(١) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تنوير الحوالك، الجزء الأول، ص١٨٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

يتحقق نجاستها، وقال أبو هريرة ﷺ (كنا مع النبي ﷺ في صلاة العشاء، فلما سجد، وثب الحسن، والحسين على ظهره، فلما رفع رأسه، أخذهما بيديه من خلفه أخذًا رقيقًا، ووضعهما على الأرض، فإذا عاد، عادا، حتى قضى صلاته)، رواه الإمام أحمد ـ رحمه الله .

وقال شداد بن الهاد، عن أبيه: (خرج علينا رسول الله ﷺ، وهو حامل الحسن، أو الحسين، فوضعه، ثم كَبَّرَ للصلاة، فصلى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدةً أطالها، فلما قضى الصلاة، قال: إن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله)[1]، رواه أحمد، والنسائي.

قال الشيخ العلامة الألباني: جواز الإشارة المفهمة في الصلاة: (كان يصلي؛ فإذا سجد وثب الحسن، والحسين على ظهره، فإذا أرادوا أن يمنعوهما، أشار إليهم أن دعوهما، فلما قضى الصلاة، وضعهما في حجره، وقال : «مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم الجوزية، «إغاثة اللهفان»، الجزء الأول ص ١٥٢، دار المعرفة ـ بيروت.

هَذَيْنِ»، أخرجه أبو يعلى في مسنده، (٢/٦٠)، عن علي بن صالح، عن عاصم، عن زر، عن عبدالله بن مسعود، قال: فذكره مرفوعًا.

قال الألباني: وهذا إسنادٌ حسن، رجاله ثقات [1] ...إلخ.

فدونك ـ أخي المسلم ـ هذه النصوص الكريمة، كلها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وهي تدل صراحة على جواز إدخال الصبيان المساجد، وجواز أخذهم إليها أخذًا، بل هذا الأمر يشبه المندوب إليه، والمستحب؛ اقتداء بالرسول الأعظم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وهو من فعله للتشريع، ولا يفعل ﷺ إلا الأحسن والأفضل وخير الأمور؛ ولأن ارتياد الصبيان للمساجد وتأليفهم عليها، كفيل بنقلهم من البيئات الفاسدة والمضلة في المجتمع إلى أجواء الهداية، والخير، والصلاح، ويوفر لهم المحضن، والروضة، والمدرسة، والجامعة الحقيقية؛ فيتربون وينشئون على تعاليم الإسلام الحنيف، التي هي جُمَّاع كل خير، وسبيل كل سعادة.

(١) الألباني، السلسلة الصحيحة، ج الأول، ص ٥٥٩، طبع المكتب الإسلامي ط الرابعة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

والمتأمل في سير وأطوار حياة الصالحين، والعلماء الربانيين، وسائر المجاهدين المؤمنين، من سلف هذه الأمة، وكذا معاصريها، يجد أن سر صلاحهم وتوفيقهم ونجاحهم يكمن في نشأتهم الأولى في باحات المساجد، تحت عروشها، وبين أساطينها الشامخة، وكما قيل:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا
عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

ويقول الرسول الكريم ﷺ: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ). متفق عليه، وقوله (يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ)؛ أي: على الإسلام والتوحيد، فلا يمكن المحافظة على هذه الفطرة سليمة إلا في بيئة إسلامية نظيفة ومعافاة، ولن تجد اليوم على وجه الأرض بقعة هي أطهر وأنقى من المساجد خير البقاع، وأحبها إلى الله ـ تعالى.

ولنا في سلفنا الصالح من أصحاب النبي ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة؛ فقد كانوا ـ رحمهم الله ـ يأخذون أبناءهم وصغارهم معهم إلى المساجد صيانة، وحفظًا لهم، وتربية وتعليمًا،

يجعلهم ينشئون النشأة الربانية السوية، التي تؤهلهم ليصبحوا رجال المستقبل الصالحين المصلحين، الذين تحيا بهم الحياة وتنهض بهم الأمة، ففي صحيح الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ في صوم يوم عاشوراء بسنده عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: من كان أصبح صائمًا فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرًا، فليتم بقية يومه، فكنا بعد ذلك نصومه، ونصوم صبياننا الصغار منهم ـ إن شاء الله ـ ونذهب إلى المسجد، فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام، أعطيناها إياه عند الإفطار.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: (... في هذا الحديث تمرين الصبيان على الطاعات، وتعويدهم العبادات، ولكنهم ليسوا مكلفين)[1] ولا شك في أن الذهاب إلى المسجد، والمكث فيه ـ في حد ذاته ـ من أعظم العبادات، وأشرف الطاعات، وتعويد

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، مجلد ٤، الجزء ٨، ص ١٤، الناشر دار الكتاب العربي، ط (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

الصغار دخول بيوت الله ـ تعالى ـ في هذا السن المبكر يضمن لهم حبها والشوق إليها، وهم كبار ـ إن شاء الله ـ تعالى؛ فتتعلق قلوبهم بها، وعسى أن يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، كما جاء الحديث الصحيح عن النبي ﷺ بذلك.

هذا ومن أحسن ما يستدل به على جواز إدخال الصبيان والصغار المساجد، بل استحباب ذلك والندب إليه، تلك القاعدة الفقهية التي تقررت في الأصول، والتي جاء الإسلام من أجل تحقيقها في حياة الإنسان؛ وهي: (درء المفاسد أولى من جلب المصالح)؛ فإذا كان منع الصغار من المسجد فيه مصلحة المحافظة على الأثاث، ومحتويات المسجد، وكذا الهدوء والسكينة ونحو ذلك، فإن المفاسد المترتبة على هذا المنع أكبر وأشد ضررًا ـ ليس على الأطفال فحسب، ولكن على الأمة كلها، وسيكون البديل عن ارتياد المساجد ـ كما قدمنا ـ هو الشوارع، والمقاهي، وأندية السوء، والتلفاز، وغير ذلك من وسائل الفساد والإفساد ـ فليتق الله كل الآباء والأمهات، ولا يبتغون لأطفالهم غير بيوت الله بديلًا.

شبهات المعارضين وردها

هنالك شبهات يثيرها من يقولون بمنع الصبيان من دخول المساجد، ويدفعون بها في وجوه أهل السنة النبوية ومحبيها، الذين يستحبون ما أحبه الرسول ﷺ من حمل الصبية - ذكورا وإناثًا - وإدخالهم المساجد، وربما احتج أولئك الأخوة المانعون بأحاديث واهية ضعيفة لا تقوم لها حجة، ينسبونها إلى النبي ﷺ فمن ذلك:

حديث: «جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ، وَمَجَانِينَكُمْ ...»؛ فهو حديث لا يصحُّ سندًا ولا متنًا: فقد قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - تعالى -: (قال السخاوي في «المقاصد»: ضعيف، ولكن له شاهد بأسانيد لا تخلو من ضعف)[1].

وقال الشيخ الحافظ محمد ناصر الدين الألباني في «صفة صلاة النبي ﷺ» بعد أن أورد حديث أنس بن مالك ﷺ : (جوَّز[2] ﷺ

(١) محمد بن علي الشوكاني، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ط الثانية (١٣٤٢هـ).

(٢) جوَّز: أي خفف الصلاة وأسرع فيها.

ذات يوم في الفجر)، وفي حديث آخر: (صلّى الصبح، فقرأ بأقصر سورتين في القرآن)؛ فقيل: يا رسول الله، لِمَ جوَّزت؟ قال: «سَمِعْتُ بُكَاءَ صَبِيٍّ؛ فَظَنَنْتُ أَنَّ أُمَّهُ مَعَنَا تُصَلِّي؛ فَأَرَدْتُ أَنْ أُفْرِغَ لَهُ أُمَّهُ». قال: وفي هذا الحديث وأمثاله جواز إدخال الصبيان المساجد، وأما الحديث المتداول على الألسنة: «جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ ...» الحديث، فضعيف لا يُحْتَجُّ به اتفاقًا، وممن ضعَّفه ابن الجوزي، والمنذري، والهيثمي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، والبوصيري، وقال عبدالحق الإشبيلي: (لا أصل له). أ.هـ كلام الشيخ الألباني ـ أثابه الله ـ تعالى ورحمه[1].

وأما عدم صحة متن هذا الحديث، فظاهر؛ لمخالفته الأحاديث الصحيحة الصريحة التي تدل على جواز أخذ الصبيان إلى المساجد، وحملهم فيها في أثناء الصلاة، كما تقدم ذكره من فعل النبي ﷺ مرارًا وتكرارًا، وفعل أصحابه ذلك اقتداء به ﷺ.

ومن شُبَهِ المانعين: أن الأطفال والصبيان متلبسون بالنجاسة،

(١) محمد ناصر الدين الألباني، صفة صلاة النبي..، ط الأولى للطبعة الجديدة (١٤١١هـ ١٩٩١م) مكتبة المعارف ـ الرياض، ص ١٠٢.

وحملهم على عدم الطهارة في الأبدان والثياب هو المتعين، وهذا خلاف الأصل؛ فالأصل فيهم الطهارة، ولا ينقل منه إلا بتحقق ظهور النجاسة عليهم، مع امتناع أو تعذر إزالتها، وقد تقدم قول الإمام النووي في شرح حديث أمامة له في صحيح مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ فراجعه في موضعه ـ إن شئت ـ؛ فإنه نفيس ومقنع.

ومما لا يخفى عليك ـ أيها القارئ الكريم ـ أن الناس دائمًا مشغوفون بأبنائهم وأطفالهم، ينهالون عليهم بالشم واللثم والضم، لا ينفكون عن شيء من ذلك، لذا فهم يتعاهدونهم بالرعاية الصحية، والنظافة الكاملة، مع اهتمام بتطييبهم، وتسريح شعورهم، ودهنها، وإلباسهم أجمل، وأنقى الثياب، وأطهرها، لاسيما في أيامنا هذه، وقد فتح الله الرحمن الرحيم على الناس من نعيم الدنيا وزينتها ما لا يُحصى ولا يُعدُّ.

ومن شبهاتهم: أن دخول الصبيان المساجد يحدث فيها فوضى وضوضاء مما يشوش على المصلين، ويشغب عليهم صلاتهم، ويذهب بروحها والخشوع فيها، ويقولون: لقد نهى

الرسول الكريم ﷺ عن هيشات[1] الأسواق في المساجد، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُوا الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ» رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي.

قلت: الأطفال عجينة لينة طيعة قابلة للتشكيل على أي وجه كان، فما على الآباء وأولياء الأمور إلا أن يسعوا إلى تربية صغارهم، وصبيانهم على السكينة والوقار ومعرفة الأقدار، واحترام المساجد وتقديسها؛ لأن تقديسها من تقديس الله؛ ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[2] ولا بد من احتمال هفوات صغارنا ودعاباتهم الحلوة البريئة، والصبر عليهم في سبيل تهذيبهم وتنشئتهم نشأة كريمة محمودة، ولا يعقل أن نحرمهم بركات بيوت الله وشهود الخير فيها، ودعوات المسلمين لأدنى شبهة أو لمجرد هفوات صغيرة بريئة.

واتباع أسلوب الرفق والرحمة والشفقة هو أنجع الوسائل

(١) هيشات الأسواق: اختلاط الأصوات وارتفاعها كما يقع في الأسواق.
(٢) سورة الحج، آية: ٣٢.

التربوية وانفعها، فلنرفق بصبياننا ولنرحمهم، ولنربهم منا حُبًّا، وتوقيرًا، واهتمامًا، وعناية، ورعاية، ولنوجههم التوجيه السليم بعيدًا عن الجلافة، والتعنيف، والزجر، والقسوة المنفرة التي لا تأتي بخير؛ يقول الرسول ﷺ وهو الأسوة الحسنة والقدوة المؤتمنة ـ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ». متفق عليه، من حديث أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وعنها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ». رواه مسلم، وعن أبي هريرة ﷺ قال: بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه، ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: «دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ». رواه البخاري ـ رحمه الله ـ تعالى ـ.

فما بال رجال من قومنا لا يحلو لهم إلا التكشير والتنفير، وتأزيم الأمور؟! لقد قال رسول الله ﷺ لأشج عبدالقيس: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ» رواه مسلم، من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، فما أحرانا أن نتأسى بهذه الخصال، ونتجمل بهذا الجمال؟! والله ولي التوفيق والسداد.

موقف الصغار في الصلاة

عن أنس ﷺ قال: (صلّى رسول الله ﷺ: فقمت أنا ويتيم خلفه، وأم سليم خلفنا)، متفق عليه، واللفظ للبخاري، وأم سليم: هي والدة أنس بن مالك والبراء بن مالك - رضي الله عنهم.

قال الإمام ابن الأمير الصنعاني - رحمه الله - تعالى -: (دل الحديث على صحة الجماعة في النفل، وعلى صحة الصلاة للتعليم، والتبرك كما تدل عليه القصة، وعلى أن مقام الاثنين خلف الإمام، وعلى أن الصغير يعتد بوقوفه، ويسد الجناح، وهو الظاهر من لفظ اليتيم، إذ لا يُتْمَ بعد الاحتلام، وأن المرأة لا تُصَفُّ مع الرجال، وأنها تنفرد في الصف) [1].

وفي كتاب «فقه السنة»، للشيخ السيد سابق - رحمه الله - تعالى - تحت عنوان: موقف الصبيان والنساء والرجال، قال:

(١) محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، سبل السلام، مصدر سابق، ص٤٣١.

(كان رسول الله ﷺ يجعل الرجال قدام الغلمان، والغلمان خلفهم، والنساء خلف الغلمان)[١]. رواه أحمد، وأبو داود.

فرد عليه الشيخ الحافظ الألباني في «تمام المنة» بقوله: (وإسنادهما ضعيف، فيه شهر[٢] وهو ضعيف - كما سبق غير مرة - وفي صف النساء لوحدهم وراء الرجال أحاديث صحيحة، وأما جعل الصبيان وراءهم، فلم أجد فيه سوى هذا الحديث، ولا تقوم به حجة، فلا أرى بأسًا من وقوف الصبيان مع الرجال، إذا كان في الصف متسع، وصلاة اليتيم مع أنس وراءه ﷺ حجة في ذلك»[٣].

قلت: والأحسن أن يتخلل الصبيان صفوف الرجال - عدا الفئة التي تلي الإمام مباشرة؛ فهؤلاء ينبغي أن يكونوا من أولي

(١) السيد سابق، فقه السنة، ج الأول، ص ٢١٤، ط الشرعية الثامنة (١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م)، دار الكتاب العربي.

(٢) شهر بن حوشب، قال عنه النسائي: ضعيف، سئل ابن عون عن حديث شهر؟ فقال: إن شهرا تركوه، وكان شعبة سيء الرأي فيه، وتركه يحيى القطان.

(٣) الألباني: تمام المنة.. ، ط الثالثة (١٤٠٩هـ)، المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن، دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض، السعودية، ص ٢٨٤.

الأحلام والنهى؛ كما أمر بذلك الرسول ﷺ وليقف كل صبي بجوار والده أو ولي أمره ـ ما أمكن ذلك ـ حتى يراقبه، ويتعهده بالتعليم، والنصح، والإرشاد، وهذا صنيع جربناه، وجربه غيرنا، فآتى أكله وثماره الطيبة في انضباط الصبية بآداب المسجد، وقدسية الصلاة، وتعلمهم كل خير وفضيلة.

أما صف الصبيان لوحدهم في صف أو صفوف خلف الرجال؛ فإنه يؤدي ـ ولا ريب ـ إلى الفوضى والعبث والهياج؛ لأنهم لا يلبثون ـ إذا كُبِّر للصلاة ـ أن تموج صفوفهم وتضطرب، ويخرج بعضهم على بعض بالمشاغبة واللعب، فينزعج المصلون لأصواتهم وجلبتهم فلا مناص ـ كما تقدم ـ من إقامتهم خلال صفوف الرجال إلى جوار ذويهم، وأوليائهم، ويزول بذلك الإشكال ـ بإذن الله ـ تعالى

* * * * *

خاتمة

أخي الكريم، لا شك أنك تدرك معنا أن أمور الإسلام وقضايا المسلمين - اليوم - أعظم وأخطر من أن تدع مجالًا لباحث يبحث في مثل هذه الأمور الفرعية، والمسائل الجزئية التي مهما كان حجم الخلاف فيها؛ فإنه ينبغي ألّا يفسد للود قضية، وألا يكون - بأية حال - سببًا للفرقة والتنابذ وإثارة الفتن، ووالله، إنه لمن المؤسف حقًّا أن نرى لمثل هذه الفرعيات شأنًا ومعارك طاحنة تدور رحاها بين المسلمين، في مثل هذه الأوقات العصيبة التي تُنْتَهَكُ فيها حرمات الدين، وأعراض المسلمين، وتُغتصب ديارهم وأموالهم، ويُرْمَوْنَ من قِبَلِ الكفرة، والملحدين، والمنافقين في العالم كله بقوس واحدة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولولا أننا نؤمن بوجوب التبليغ على الأمة في أمور الدين كلها، كما أمر الله ورسوله ﷺ، لما اشتغلنا بمسألة الصبيان هذه، ولأنها أدت في كثير من الأحيان وفي عدد من المساجد

إلى نزاعات تنذر بالشر المستطير؛ فلقد بينا لك حكم الشرع في ذلك، وأوقفناك على كلام أهل العلم والفقه والدين، وتحريراتهم النفيسة؛ فاستمسك بما جاءك من العلم والحق، ولا تبغي عنه بديلًا.

والله هو الهادي إلى سبيل الرشاد، وبه التوفيق والسداد، وهو - وحده - المستعان وعليه التكلان، والحمد لله أولًا وأخيرًا، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتبه
أبو محمد
عبدالهادي بن أحمد الشنبيلي السوداني
صنعاء - اليمن
(ربيع الأول ١٤٢٠ هـ - يوليو ١٩٩٩م)

المصادر والمراجع

مرتبة على حسب ورودها في الرسالة:ـ

١ـ صحيح مسلم، شرح النووي، ط (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ط الأولى، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م)

٣ـ آداب المساجد، أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، ط الأولى، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).

٤ـ رياض الصالحين، النووي، ط الرابعة (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٥ـ البخاري، عمدة القارئ.

٦ـ البخاري، فتح الباري.

٧ـ الرحيق المختوم: المباركفوري، ط الثانية، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، دار القلم، بيروت، لبنان.

٨- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط الثانية (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٩- بيوت لا تدخلها الملائكة، أبو حذيفة.

١٠- سبل السلام، ابن الأمير الصنعاني، بتعليق عبدالعزيز الخولي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، بدون تاريخ.

١١- فتح العلام، شرح العمدة، ابن دقيق العيد.

١٢- تنوير الحوالك، السيوطي، دار الفكر، بدون تاريخ.

١٣- إغاثة اللهفان، ابن القيم، بتحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.

١٤- مسند أبي يعلى، للقاضي أبو يعلى.

١٥- الفوائد المجموعة، الشوكاني، بتحقيق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط الثانية، (١٣٩٢هـ)، بيروت، المكتب الإسلامي.

١٦- المقاصد الحسنة، السخاوي.

١٧- صفة صلاة النبي ﷺ الألباني، ط الأولى، للطبعة

الجديدة، (١٤١١ هـ - ١٩٩١م)، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية.

١٨- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل.

١٩- عون المعبود، شرح سنن أبي داود.

٢٠- تحفة الأحوذي، شرح سنن الترمذي.

٢١- فقه السنة، السيد سابق، ط. الشرعية، الثامنة، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٢- تمام المنة، الألباني، الثالثة، (١٤٠٩هـ)، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، دار الراية، الرياض، السعودية.

* * * * *

الفهرس

تم الجمع والصف بمكتب الرضا للدعاية والإعلان
☎ : ٣٢٠٧٩٤ (٠٨٢)، محمول: ٠١٠١٤٦٠٨٦١
بني سويف - ج . م . ع.